

**إنفصال السلطة الدينية عن السلطة السياسية وانعكاسها على العمارة
المخططات الحضرية لمراكز المدن في جنوب العراق القديم**

الأستاذ المساعد الدكتور منى عبد الكريم حسين القيسي

جامعة الكوفة - كلية الآثار

munaa.khalaf@uokufa.edu.iq

**The separation of religious authority from political power and its
reflection on the architecture and urban plans of city centers in
ancient southern Iraq**

**Dr. Munah Abdel Karim Hussein Al – Qaisi
KUFA University , Faculty of Archaeology**

Abstract:

The ancient Iraqi city is considered one of the greatest civilizational achievements of the Iraqi human mind and the finest innovations of architecture in urban planning for cities throughout history, as civilization activities are concentrated in it to generate all new ideas and inventions after the development of economic, social and religious characteristics that took shape in the emergence of the ancient Iraqi city, materially and morally, to spread this phenomenon And they become the bases for the launch of the original civilization in the development of ancient societies in Iraq and the world because it is a center of civilized radiation through the ages to take societies within them to organize their lives, preserving the wheel of civilization development in cities by creating an organized life and placing each division within its tasks and competence to avoid social anarchy, which thus reflects the delay of societies. From separating the authorities, including the two powers, religious and political, to be reflected in the plans of urban cities and to define the central nucleus of the ancient Iraqi cities, to follow the patterns of their plans that were characterized by certain characteristics and had a direct impact on their general forms and on the way of exercising their functions that caused their emergence

Key word : Political power , Religious authority , Separation of powers , The central core of the ancient Iraqi cities , Urban Geometric plans for cities .

الملخص :

تعد المدينة العراقية القديمة من أعظم الانجازات الحضارية للعقل البشري العراقي وأورع الإبداعات للهندسة المعمارية في التخطيط الحضري للمدن عبر التاريخ ، إذ تتركز فيها الأنشطة الحضارية لتوليد كل الأفكار والاختراعات الجديدة بعد تطور الخصائص الاقتصادية والاجتماعية والدينية التي أخذت تتبلور بنشأة المدينة العراقية القديمة ماديا ومعنويا لتنتشر هذه الظاهرة وتصبح قواعد لانطلاق الحضارة الأصلية في تطوير المجتمعات القديمة في العراق والعالم لأنها مركز إشعاع حضاري عبر العصور لتأخذ المجتمعات داخلها بتنظيم حياتها محافظا على عجلة التطور الحضاري بالمدن من خلال خلق حياة منظمة ووضع كل فرقة ضمن مهامها واختصاصها لتفادي الفوضوية الاجتماعية التي تنعكس بالتالي تأخر المجتمعات لذلك لا بد من الفصل بين السلطات ومنها السلطين الدينية عن السياسية لتنعكس هذه الفلسفة على مخططات المدن الحضارية وتحديد النواة المركزية للمدن العراقية القديمة لتأثب بأنماط لمخططاتها تميزت بصفات معينة وكان لها الأثر المباشر في أشكالها العامة وعلى طريقة ممارستها لوظائفها التي تسببت بنشأتها.

الكلمات الافتتاحية : السلطة الدينية ، السلطة السياسية ، انفصال السلطات ، النواة المركزية للمدن العراقية القديمة ، المخططات الهندسية الحضارية للمدن ..

المقدمة :

يعد مفهوم انفصال السلطتين من المفاهيم المهمة التي كرسها المجتمع العراقي القديم وحرص على تحقيقها وتطبيقها ضمن منهاجه بعدما هيمنت السلطة الدينية على مقدرات السلطة السياسية التي تعد موضع اهتمامه كظاهرة متطورة باستمرار وان أخذت أشكالاً متنوعة خلال تاريخه الطويل التي نجمت عنها عدة إشكاليات عانى منها المجتمع العراقي القديم ومنها اقتصادية واجتماعية وسياسية وغيرها التي رضخت تحت هيمنة السلطة الدينية التي غدت لها الحق في قيادة المجتمع وعلى الرغم من اختلاف الباحثين والمختصين بمدى هذا الجانب إلا أن جميعهم اتفقوا وأكدوا على هيمنة السلطة الدينية على المجتمع العراقي القديم الذي تحقق من جانبين كان الجانب الأول بتحقيق حكم وقيادة أمر المجتمع لكي يتحقق الجانب الثاني بشكل جلي وهو تأثير وسيطرة هذه السلطة وهذا أستناداً على الإشارات التاريخية ومخلفات العمارات الدينية والدنيوية وأنظمتها التي عكست بشكل مباشر تأثير وقوة هذه الهيمنة خلال الألف الثالث ق.م وكيفية تحديدها بعد تحقيق أمر الانفصال بين السلطة السياسية عن السلطة الدينية وتطبيق منهاجه ضمن سياسة الدولة . ولما كانت المدن التي أنشأها الإنسان العراقي القديم عبر مر العصور لتشكل الوسيلة المهمة لمجمل حياته واحد أسباب ديمومتها وتحويه هذه المدن من عناصر عمارية مهمة أضافت على الحضارة العراقية بهاءها ورقي وأصالتها . عمد الباحث في هذا الدراسة البحثية على تناول المتغيرات في تاريخ تخطيط المدن العراقية القديمة التي لا تفصل عمارتها وتخطيطها الحضري بالأحداث والتطورات في المجتمع والمتغيرات الفكرية والفلسفية ومن جوانب متعددة ومنها التاريخية والحضارية والعمارية التي أخذت بتغير مهم مواكبة تطورها الحضاري لتتركز الدراسة على مخطط مراكز المدن وتحديد نواتها الحضورية ضمن مساحة المدن العراقية القديمة من خلالها تم الشرح لبعض التفاصيل التاريخية لنشأة وتخطيط المدن ووظائفها كقيمة حضارية وحالة صحية ليطبق نظام الفصل عمارياً تنفيذاً لأدراك هذه المعايير الخاصة لكل نوع من أنواع العمارة ، ليدمج البحث بعدها بمنهج التحليل المقارن بين المدن العراقية القديمة وبيان المتغيرات بالعناصر العمارية للنواة المركزية للمدن معتمدين على المخططات والخرائط الخاصة بمراكز المدن ، وتشخيص كيفية معالجة الفصل بين العمارتين بوظيفتها الدينية ، والتي تم إدراجها ضمن

الاستنتاجات النهائية للبحث مستعينين بالمصادر العربية والمستعربة إلى جانب المصادر الأجنبية المختصة .

أولا :- التاريخ السلطتين السياسية والدينية ومراحل تطور فكر فلسفة الفصل بينهما في العراق القديم :

سجل المجتمع العراقي القديم تاريخ طويل موغل بالقدم وصلت منه النتاجات الحضارية الفنية بمختلف أنواعه والعمارية والهندسية إلا إننا لا نعرف شيء الكثير عن تنظيماته الاجتماعية والسياسية حتى بدأ العراقيون القدماء البتدوين بمرحلة الكتابة التي أخذت تسجل وتوثق الكثير عن المجتمع ليتسنى لنا من خلالها معرفة التنظيمات الدينية والسياسية والاجتماعية وغيرها ، ومن منها لها اليد الطولى في قيادة المجتمع آنذاك . وكان هذا بمنتصف الألف الرابع ق.م^(١) . لتنتج الكثير من المدونات والرقم الطينية المكتوبة بالخط المسماري ومنها جاءت أهم وثيقة التي أشارت إلى مكونات سياسية حاكمة في المدن العراقية القديمة قبل الطوفان ومنها أسماء ملوك وسنين حكمهم على الرغم بالمبالغة بأرقام سنين حكمهم ، لتظهر لنا إن هذه المكونات السياسية تمكنت من قيادة مجتمع منظم من الناحية الاقتصادية والاجتماعية والسياسية على أرضية المدن ذات مخطط هندسي بتوزيعات حضرية هو انعكاس لازدهار الحياة الاقتصادية من خلال تحقيق الفائض بالإنتاج الزراعي النوعي التي ساهمت في دفع عجلة التجارية الداخلية بين المدن العراقية القديمة وحركة التجارة الخارجية للعراق القديم مع الأقاليم والممالك المجاورة لجلب الاحجار الثمينة والمعادن التي ساهمت بدورها تطوير فن التعدين وازدياد الإنتاج الصناعي^(٢) . بعدما شهدت متغيرات جوهرية عديدة إلى جانب زيادة الإنتاج لتحقيقها الجهود المتظافرة للمجتمع قفزة نوعية في تطور حياته اليومية بجنوب العراق القديم وذلك بآنتقاله من حياة القرية ذات الاقتصاد الزراعي المعتمد على الري إلى حياة مدنية في المدن الجديدة^(٣) ، لتخلق هذه الظروف والمناخات مؤسسات دينية وسياسية متنوعة في مجتمع المدينة العراقية القديمة المتحضر^(٤) . مما يشير إلى أن هذه

المؤسسات قد شهدت تاريخ طويل قبل عصر الكتابة حتى بلغت مستوى إدارة البلاد إن كانت دينية أو مدنية

أشارت المصادر التاريخية بأن المؤسسة الدينية كانت هي المتحكمة في إدارة شؤون المجتمع في العراق القديم^(٥) وكان مقرها المعبد الذي يمثل مقرا للآلهة لذلك أعد مبنى المعبد منذ البداية كمركز لإدارة المدينة إذ أكدت المصادر المسمارية بان السيادة خلال الألف الرابع ق.م كان حكما دينيا وأكدت بان المعبد في مرحلته الأولى لم يكن للإغراض الدينية فحسب بل كان يقوم بإدارة البلاد سياسيا أيضا ، لذلك كان الحكم ديني للمجتمع العراقي القديم في فض النزاعات واتخاذ قرارات السلم والحرب ومن أهم الأدلة على ذلك الأمر هي فائدة الفضة التي تفرضها كهنة معبد الإله شمش وكانت تسمى (بفائدة الاله شمش)^(٦) . إذ يعد (المعبد) مؤسسة دينية تمكنت من إثبات دورها في ازدهار الحياة الاقتصادية في حياة المجتمع من خلال تحقيق فائض من الإنتاج الزراعي النوعي بسبب سيطرتها على الأراضي الزراعية ، كما اعتمدت المؤسسة المالكة عليها بالمساهمة في دفع دفة الإنتاج الصناعي وتقدم فن التعدين وانتشار استعمال المعادن التي حركت عجلة التجارة الداخلية بين المدن العراقية القديمة وحركة التجارة الخارجية للعراق القديم مع الأقاليم والممالك المجاورة^(٧) . وعلى ضوء ما تقدم فأن المعبد وطبقه الدينية بهذه الإمكانيات فقد تم سيطرته على مقدرات المجتمع ولا سيما العامل الجانب الاقتصادي الذي يعد عصب الحياة فضلا عن الجانب الديني الذي أعطى هالة مقدسة لهذه الطبقة المستمدة من الآلهة بحسب الفكر الديني للمجتمع العراقي القديم .

أما في مطلع الألف الثالث ق.م فقد أستمر شكل نظام السياسي والديني للمجتمع العراقي القديم في العصر السومري القديم ، لتبرز المؤسسة الدينية سيطرتها على مقاليد حكم دولة المدينة السومرية من خلال سيطرتها على المقدرات الاقتصادية للمجتمع بإخضاع مساحات كبيرة من الأراضي الزراعية تحت نفوذ المعبد بادعائها أنها ممثلة لإله المعبد واله المدينة الرئيسي على الأرض والمخولة عنهم بحكم المدينة^(٨) . مما مكن المعبد من السيطرة على مقاليد السياسة للبلاد ، ومن جانب آخر فقد بدأت فكرة الفصل بين السلطة الدينية والسلطة السياسية تتعمق بالمجتمع العراقي القديم التي حرص عليها

الملوك العراقيون القدماء في تبني فكرة الفصل بين السلطتين خلال الألف الثالث ق.م لأجل إبعاد المعبد ورجال الدين عن المهام السياسية لدولة المدينة والاقتصار بالمهام الدينية فقط في بلاد سومر ، وتم ترسيخ هذه الفكرة بعدما تبناه حكام بلاد الرافدين كمنهاج فكري وسلوكي اجتماعي بانتهى بؤادره منذ القرن ٢٨٠٠ ق.م . ومنها الإشارة اللغوية التي أكدت باتخاذ مسميات جديدة تفرق بين السلطتين الدينية والسياسية كما بدت واضحة بالكتابات المسمارية لأجل التفريق عن مصطلح إين (En) والذي يعني السيد الكاهن الكبير ، الذي لقب به الملك كالكامش ملك مدينة الوركاء . ليظهر مصطلح جديد في نصوص مدينة أور بصيغة (Pa-si) ثم تطورت الصيغة في عصر سلالة لكش الأولى لتصبح بصيغة (Pa-te-si)^(٩) ليكتمل التعبير عن لقب الأمير الذي ورد بصيغة (Ensi) ، لترتقي فيما بعد بالمكانة السياسية بوردها مصطلح لوكال (Logal) والتي تعي الملك ، وكان أول ظهور لهذا المصطلح في مدينة أور^(١٠) ، إذ كان أول من أضاف هذا المصطلح هو ملك أور (مس- كلام - دوك - Mes - kalam - Dug-) ويعني (بطل أو أبن الإقليم الطيب) ليتخذهُ أيضاً الملك كالكامش مستبدلاً للقبه القديم (Ensi) . لتشهد الفترة السومرية الأولى صراع بين الملك والكاهن وعلى سبيل المثال ماورد بالمصادر المسمارية الكاهن دودو الذي كان يتمتع بنفوذ كبير وواسع زمن الملك ائتمنا الذي كان هو أيضاً الكاهن الأعلى للإله الرئيسي لمدينة لكش^(١١).

كما جاءت في الإشارة القانونية لفصل السلطتين الدينية والسياسية فقد جاءت ضرورة ملحة بعدما أستمّر استغلال طبقة الكهنة للمجتمع مدينة لكش السومرية ولازمان طويلة حتى أصبحت تشكل عبئاً ثقيلاً على كاحل المجتمع العراقي القديم إذ قدمت أمثلة متعددة لمآسي اجتماعية واقتصادية أدت تعكس تهالك ونخر جسد الدولة المدينة^(١٢) مما زادت من حدة التنافس بين الملك وطبقة الكهنة التي تجاوزت استغلالها لإمكانات للمجتمع العراقي القديم ، ليأتي الملك أور-كاتجينا ليضع حد لهذا الاستغلال وتقوض سلطة الكهنة من خلال وضع إصلاحات قانونية تلزم بها جميع أفراد المجتمع آنذاك ، ومنها بدأت سلطة الملك السياسية تأخذ مكانتها واستقلاليتها في اتخاذ القرار^(١٣) . كما أكدت المعلومات التاريخية بأن قد حدث استمرارية تطور الأحداث في فصل

السلطتين في منتصف الألف الثالث ق.م وبنهاية العصر السومري القديم إذ بدأت تنتقل زعامة دويلات المدن السومرية من السلطة الدينية إلى السلطة السياسية أو يد السلطة العسكرية وذلك بسبب الظروف المحيطة لهذه الدويلات التي باتت تحتاج آنذاك إلى قائد عسكري يحمي حدودها وأراضيها الزراعية من التهديدات الخارجية أكثر من سلطة رجل الدين^(١٤).

لينتهي العصر السومري القديم ويبدأ نظام سياسي جديد متمثلاً بالعصر الاكدي عام ٢٣٧٣ ق.م الذي أمسك فيه الأكديون بزمام السلطة السياسية ولأول مرة ليتأخذوا منهج مغاير عما أتى به أسلافهم لأنهم منذ البداية كانوا على قدر من الإدراك والوعي الفكري لتطبيق نظام مركزي لتظهر أول دولة موحدة على أرض الرافدين . ومنها أعلن الملك سرجون الاكدي فصل السلطتين بل وحصر السلطة الدينية وإعطاء حرية المطلقة للسلطة السياسية باتخاذ القرار^(١٥) ، ليتمكن هذا الملك في إدارة الدولة ولأجل الحفاظ على تنظيم الإمبراطورية الجديدة والتحكم بها من خلال إعطاء المناصب العليا لإدارة المدن إلى أشخاص يثق بهم . حتى على الصعيد الديني فقد فرض سرجون الاكدي سيطرته على مقدرات المعبد ليكون منصب الكاهن أو الكاهنة العليل للمعبد من نصيب العائلة المالكة ، لينصيب أخته الملك أنخيدونا^(١٦) لتوليها منصب الكاهنة العليا لمعبد الآلهة عشتار (انانا) في مدينة أور السومرية التي لعبت دوراً كبيراً في توطيد حكم الإمبراطورية ليتمكن سرجون الاكدي من السيطرة على الشؤون البلاد السياسية والدينية معاً لتحقيق استقرار بلاد الرافدين^(١٧) . كما يبدو ليمسك به المجتمع العراقي القديم بهذه الفلسفة والتحرر من هيمة المعبد مع الحفاظ على مكانتهم وليسير على نهجه من بعده معظم ملوك وحكام بلاد الرافدين في إدارة وحكم البلاد .

ثانياً :- نشأت المدن العراقية القديمة وتاريخ تطورها المعماري :

أخذت حياة الإنسان العراقي القديم تنتظم وبداية نضوج حضاري التي حصلت نتيجة ايجابية للانقلاب الاقتصادي بعدما اهتدى إلى الزراعة وتدجين الحيوانات لينتقل بسكناه تدريجياً من الكهوف إلى السكن ضمن تجمعات استيطانية بمكان واحد وهي القرية الزراعية النموذجية الأولى وعادة تكون على ضفاف الأنهار قرب الأراضي المراد

زراعتها وكان هذا خلال العصر الحجري الوسيط ومن هذه القرى هي قرية ملفعات وقرية نمريك وقرية جرمو^(١٨).

١- تاريخ نشأة المدن العراقية القديمة

شهدت الحقبة الممتدة ما بين نهاية العصر الحجري الحديث وبداية العصر الحجري المعدني تطور لخصائص الاجتماعية والاقتصادية والعمرانية للقرى الزراعية في شمال العراق القديم وأخذت برسم مخططات حضرية لمستوطنات سكانية ومن هذه المستوطنات كانت بدوري حسونة وحلف في شمال العراق القديم إذ جرت متغيرات أساسية بتكوينها الحضري لنلامس تقدما واضحا في تخطيطها وعمارتها لتظهر لنا نماذج عديدة من المخططات الحضرية للمستوطنات ومنها خططت بشكل دائري وآخر مستطيل^(١٩).

يعد مستوطن تل الصوان^(٢٠) أكبر مستوطن سكاني خلال العصر الحجري المعدني فقد تضمن التصميم الهندسي الأساسي لمخططة تقسيمات حضرية ومنها ساحات عامة وحدائق خضراء فضلا عن شبكة طرق منها غير منتظمة تتوسط المساكن الصغيرة ومنها واسعة تخترق الدور والمساكن الكبيرة وأخرى غير نافذة فضلا عن ساحات مفتوحة تتوسط الأبنية ، وحصن المستوطن بسور (دفاعي) ليفصله عن الضواحي الخارجية (الأراضي الزراعية) وفق منظومة دفاعية تضمنت عن سور مدعم بأبراج ومحاط بخندق مائي التي تعكس عمارتها المتقدمة والفكر الدفاعي الأول في العمارة العراقية القديمة ، وبهذه المكونات للمخططات الهندسية الحضرية للمدن التي أصبحت اللبنة الأولى والأساس في بنية هيكلية التصاميم لهندسة المخططات الحضرية للمدن العراقية القديمة التي تلتها لترافق جميع مراحل التطور الاقتصادي والاجتماعي والعمراني الذي حققه المجتمع العراقي القديم خلال العصور اللاحقة^(٢١). بعدما أنتقل الاستيطان السكاني إلى جنوب بلاد الرافدين ذات الطبيعة المغايرة عن طبيعة المناطق الشمالية ليختلف الموقع الجغرافي بطبوغرافية الأرض وهي سهلة ومنبسطة وذات بيئة مختلفة لتصبح هذا التغير المناخي الذي يتميز بقلّة كمية سقوط الأمطار وهو العامل المهم الذي أعتمد عليه بالزراعة المطرية بالمناطق الشمالية ليستبدلها هنا بالزراعة الدائمة المعتمدة على مياه الأنهار ، لذلك انتشرت معظم المستوطنات السكانية على ضفتي نهري دجلة والفرات وقرب

الأهوار بالجنوب العراقي^(٢٢) ليتفاعل الانسان العراقي القديم مع البيئة الجديدة جنوب بلاد الرافدين ذات الطبيعة الشرسة بتقلباتها السريعة ليعتمد تكنولوجيا جديدة وظفها لصالحه وهي ابتكار نظام الشبكات الأروائية لسهولة أرواء أراضي واسعة وذلك من خلال ضبط مياه الأنهار والحد من حدة فيضاناتهم وتنظيم حياته^(٢٣)، ليحقق المجتمع العراقي القديم داخل هذه المستوطنات من خلال هذه الجهود المبذولة قفزة نوعية في تطور حياته بجنوب العراق القديم وذلك بالانتقال من الحياة القروية المعتمدة باقتصادها على الزراعة والري إلى حياته الجديدة ذات الحضارة المدنية لتشهد تغيرات جوهرية بسلوك حياتها المعتمدة على زيادة الإنتاج^(٢٤) وبهذه الانجازات احدث ثورة حضارية مكونة حضارة جديدة وهي حضارة العبيد التي تعد أساس التطور الحضاري الهام للمراحل التاريخية والحضارية التي يليها في جنوب العراق القديم . لتتطافر كل هذه الظروف والمناخات في تأسيس مؤسسات مدنية متحضرة ومتنوعة المثلثة في مجتمع المدينة العراقية القديمة^(٢٥). وبهذه الخصائص ظهرت المدينة بمظاهر مدنية تختلف بطبيعتها بكل تأكيد عن القرى الزراعية باختلاف سلوك الحياة اليومية ووظيفة المكان وتخصيص العمل الصناعي والتجاري إلا أن الترابط فيما بين المدينة والقرية أستم قائما جنبا إلى جنب بسبب اعتماد المدينة على القرية التي تعتبر مصدر قوتها اليومي والتموين الرئيسي لاقتصادها^(٢٦).

٢- البنية الحضرية المدنية للمدن العراقية القديمة ومراحل تطورها

تعد المدينة تشكيلة حضارية ذات خصائص مدنية بحجة لها من العناصر المكانية التي تغطي موضع أو موقع معين والعناصر الزمانية لما لها من البعد التاريخي التي عكست انجازاتها العمرانية التي تعبر عن هوية المدينة والحياة الحضرية فضلا عن العناصر الاجتماعية والاقتصادية بحدودها المحلية ، لتفرد بلاد الرافدين منذ فجر التاريخ بهذه الحضارة المدنية وتشكيل أولى المدن المتحضرة في تاريخ البشرية التي عكست حياة اجتماعية منظمة لسكان هذه المدن التي نمت في بدايتها بصورة عشوائية بعد اختيار الموقع بعناية لتتطور فيما بعد مرفقة لكثير من التطورات الحضرية ومنها التخطيط العمراني للمدن العراقية القديمة .

تبرز هذه التطورات الحضارية الحاصلة في المنطقة الجنوبية لبلاد الرافدين وهي إنشاء أولى المدن في تاريخ العراق القديم . ومنها أولى المدن هي مدينة اريدو الذي اختير موقعها على مجرى نهر الفرات القديم بالجنوب العراقي القديم^(٢٧) . إذ تم العثور بالمدينة على أهم المنجزات الحضارية التي ميزت عمارة عصر العبيد بالألف الخامس ق.م ولا سيما بعد الكشف عن ظهور أول نمط للمعبد السومري القديم ليمثل أولى الطرز المعمارية الدينية في العمارة العراقية الدينية الذي يحمل العناصر الأساسية الخاصة بالمعابد الرافدينية القديمة منذ بدايتها^(٢٨) ، ولتستمر هذه الخصائص لتمييز عمارة المعابد رغم تطورها في العصور اللاحقة لكنها ظلت محافظة على العناصر الأساسية المعمارية ليصبح المعبد منذ ذلك الوقت هو مركز بعد تعين موقع مبناه نقطة مركز التخطيط الحضري لمخطط المدن العراقية القديمة التي توزعت حوله الكثير من التقسيمات العمرانية ضمن النسيج الحضري الذي ينتهي بسور المدينة. لصبح بعد ذلك هذا النمط من التخطيط الحضري ملازم لهندسة المدن العراقية القديمة^(٢٩).

تخطيط المدن العراقية القديمة :

أخذت المدن العراقية في بدايتها تخطيط عشوائي يلتف نسيجه الحضري حول المعبد بشكل تجمعات سكانية ثم تطورت توزيعاتها الحضرية فيما بعد إلى مخططات مدن كبيرة ومنها مدن غلب عليها الطابع الديني لتتحول إلى مدن دينية مثل مدينة اريدو ومدينة نفر وأخرى غلب عليها الطابع المدني ثم السياسي لتصبح عواصم لإمبراطوريات عظيمة مثل اور والوركاء ولكش وكيش وغرها . إلا أن جميع الباحثين والمختصين بعلم الآثار اتفقوا على أن مخطط المدن العراقية القديمة قد ضم أربعة تقسيمات رئيسية وهي : المنطقة المركزية للمدينة (المعبد أو مجموعة المباني الدينية) ، والنسيج الحضري (بيوت السكن والقصور والشوارع التي تتخللها) ، والأسوار الخارجية (التحصينات الدفاعية) ، ومن ثم ضواحي المدينة (قرى والمزارع حول المدينة)^(٣٠) .

ابتداءً لابد من النظر إلى الأنماط التخطيطية الحضرية (للمدن) الأولى التي صنعتها المستوطنات في مشهدها الطبيعي على الأرض ومن المنطقي أن ننظر بعد ذلك إلى زخرفة خارطة المخططات المشكلة داخل بعض هذه المستوطنات وفق التقسيمات المتفق عليها أعلاه استناداً إلى بعض الأدلة المبكرة التي وصلتنا من تخطيط المدن القديمة على الرغم

من إن بعض الأدلة غير مكتملة للغاية بسبب تكلفة التنقيب في موقع المدن الأثرية بأكملها^(٣١). إلا أن تم الكشف عن تقدما واضحا في التخطيط والعمارة للمدن منذ نشأتها فضلا عن التخصص الواضح في عمارة أبنية الخدمات وفعاليات معينة أخرى منها الساحات العامة والمناطق الخضراء لتتكرر التصاميم التخطيطية للمدن العراقية القديمة أي بذات النظم الهندسية في التخطيط والعمارة ، وكان هذا التخطيط منذ بداية المدن في بلاد الرافدين ما بين العصر الحجري الحديث والعصر الحجري المعدني في موقع تل الصوان^(٣٢) ليضم تصميمه الأساسي بدايات مخططات المدن ومنها السور بمنظومة دفاعية (السلم والأبراج والخندق) وأبنية عامة وساحات ومساكن ودور تتخللها عدد متنوعة من الطرق (الضيقة والواسعة والغير نافذة) فضلا عن الضواحي من القرى الزراعية^(٣٣) ، لينتقل هذا النظام من التخطيط للمدن إلى جنوب بلاد الرافدين وهذا خلال الألف الخامس وبداية الألف الرابع ق.م ، ليصاحب النمط من التخطيط جميع المستوطنات السكانية بشكل مجمع في منطقة واحدة التي تم إنشائها على ضفاف الأنهار والأهوار، إلا أن هنا طراً بعض التغير بالتخطيط وهو إضافة مبنى المعبد ليتوسط ويأخذ مركز تخطيط المدن ليتناسب مع التطور الديني والاجتماعي الحاصل بالمجتمع العراقي القديم الذي انعكس بشكل مباشر على تخطيط المدن فضلا عن المعابد الفرعية التي تتخلل النسيج الحضري للمدن ، مكونة أولى المدن المتكاملة الخصائص التخطيطية والهندسية الحضرية المدنية والدينية والاجتماعية وغيرها^(٣٤)...

أما في عصر الوركاء منتصف الألف الرابع ق.م ، فقد تضخمت وتوسعت المدينة العراقية القديمة التي بدأت تأخذ تخطيطها يتناسب مع هذا التوسع ولا سيما بعد ازدياد نسمة السكان المدن من جهة وازدياد كتلة وحجم الأبنية التي تصدرت مخططات المدن من جهة أخرى لترافق كل هذه التطورات نهضة حقيقية لمخططات المدن التي أعدت بمثابة انقلاب حضاري تخطيطي التي جاء انعكاس وبشكل مباشر لها^(٣٥). وهذا ما أكدته نتائج أعمال التنقيب للبعثات الألمانية في مدينة الوركاء التي كشفت عن صورة مخطط المدينة المتكامل وبكل مقوماته الحضارية ومنها تشيد أسس المباني الضخمة لمجموعة معابد بالقرب من الزقورة ضمن الطبقة الرابعة خلال عصر الوركاء^(٣٦). ليتألف المخطط الحضري مدينة الوركاء خلال هذا العصر من حارتين (مستوطنتين)

كانت الأولى هي حارة (مستوطن) كولا ب التي ورد اسمها في كثير من النصوص السامرية (حي من أحياء الوركاء) ^(٣٧) الواقعة عند الجهة الغربية من المدينة ومركزها معبد الإله انو وزقورته . والثانية حارة (مستوطن) (آي-أنا) الواقعة في الجهة الشرقية من المدينة ومركزها معبد الإلهة (انانا - عشتار) ^(٣٨) التي ضمت مجموعة من المعابد المشيدة فوق مصطبة بنائية وعدد من الساحات ومنها ساحات كبرى للطقوس الدينية والاحتفالات العامة لتبلغ الوركاء في نهاية الألف الرابع ق.م اوج ازدهارها وعظيم عمارتها الزاخرة بالأعمدة المزينة بالزخارف الفسيفسائية الملونة ، فضلا عن انواع العماثر من ناحية التصميم البنائي والمادة البنائية المتنوعة ^(٣٩) لتواكب هذه الظاهرة جميع التطورات للنظم الاجتماعية والاقتصادية الحاصلة بالمجتمع العراقي القديم ، وبالتالي أدى إلى تطورت بيئة المجتمع ^(٤٠) لتتوسع المدينة خلال العصر الشيبه بالكتابي لتبلغ مساحتها بنحو (٢٠٠) هكتار تقريبا لتشغلها مباني المعابد ومباني المدينة الأخرى التي ميزت تصميم المدينة الداخلي الذي يمثل هيكل لمدينة العمراني ومخططها الأساسي لتستمر عملية البناء خلال عصر الشيبه بالكتابي ضمن تركيبها الداخلي والدقة في توزيع معالم المدينة ومنها الدينية التي تتمركز وسط المدينة بعمارة فخمة ^(٤١) أعطت صورة كاملة عن القدرة الفائقة والمهارة الفنية بهندسة وتخطيط مدنية المدينة العراقية القديمة ^(٤٢). إلا إن اغلب أشكال مخططات المدن العراقية القديمة كانت قد تتغلب عليها شكل طبوغرافية الأرض الواقعة عليها ولا سما الشكل الخارجي للمدينة المتمثل بأسوار المدينة الدفاعية للمدينة لنلاحظ أن مخططات المدن جاء مختلفة الأشكال ما بين الشكل المربع مثل مدينة اريدو وخرسباد والدائري أو المدور مثل مدينة الوركاء ونفر وآخر البيضوي مثل مدينة اور. التي سوف نتطرق اليها لاحقا متفادينا عدم التكرار .

ثالثا :- تأثير فلسفة الفصل بين السلطتي الدينية والسياسة وأنعكاسها على تخطيط

المدن العراقية القديمة ومراحل تطورها

بعد اتخاذ ملوك العراق القديم التي تعاقبت على حكم بلاد الرافدين لمنهج فصل السلطتين الدينية والسياسية بعد كل التطورات والتقلبات السياسية والاجتماعية التي حدثت بالمجتمع العراقي القديم والمدن العراقية القديمة انعكست بشكل واضح على

المخططات الهندسة للمدن العراقية القديمة وخاصة المنطقة المركزية ضمن النسيج الحضري للمدن القديمة

١- مراحل المتغيرات الهندسية والعمارية لمراكز المدن :

يمكن تتبع مراحل المتغيرات التي رافقت نمو المدن العراقية القديمة ومنها المتغيرات الهندسية والعمارية الحاصلة بمراكزها هذا من خلال تحديد التطورات للمتغيرات التي طرأت على المخططات الهندسية ابتداء منذ ظهور أولى المدن العراقية القديمة في جنوب بلاد الرافدين في الألف الرابع ق.م وحتى الألف الأول ق.م لبيان مدى انعكاس فلسفة الفصل المحددة بفكرة الفصل بين السلطة الدينية عن السلطة السياسية ، مع الأخذ بنموذجين أو ثلاث من المدن العراقية القديمة والعمل بالمقارنة بين مخططاتهم الهندسية لمراكزهم وبيات تأثير فكرة الفصل وانعكاسها على مخططاتها .

المدينة العراقية القديمة خلال الألف الرابع ق.م كانت ضمن المراحل تكوينها التي أخذت بالاكتمال والازدهار خلال الألف الثالث ق.م لتظهر المدينة بهذا التاريخ وهو العصر السومري القديم لتكون بأوج عظمتها حتى غدت تضم من ضمن خصائصها دولة لتعرف بدولة المدينة ^(٤٣) ومنها سيكون منطلق دراستنا ، وهنا تأخذ مخطط مدينة الوركاء مابين الألف الرابع ولألف الثالث ق.م وصولاً إلى العصر السومري القديم إذ تمكنت أعمال التنقيب والتحري للبعثة الألمانية التنقيب في المدينة بالكشف عن أصالة التخطيط الحضري الأساسي للمدينة ومن ضمنها معالم خاصة بالعصر السومري القديم التي تحمل عمق أصالة التخطيط الهندسي الحضري في بلاد الرافدين ^(٤٤). من خلال إعطاء الشكل النهائي للمخطط الحضري الأساسي للمدينة ولاسيما مخطط مركزها الذي كان ذات النواتين بكل معالمها العمرانية الحارة الأولى كولاها المخصصة لعبادة الإله أنو ، أما الحارة الثانية فهي حارة (إنا) المنطقة الدينية الثانية التي لم تتغير عمارتها كثيراً عما كانت عليه في عصر الوركاء ^(٤٥) وصولاً إلى العصور اللاحقة التي استمرت المدينة على هذا النمط للتخطيط حتى عصور لاحقة (الشكل رقم (١)). ومن جانب آخر هنالك أمر جدير بالذكر فإن عمارة القصر لم تظهر خلال هذا التاريخ إلا ما ندر ^(٤٦) ولاسيما خلال العصر السومري القديم إذ كان مبنى المعبد محور الحياة الدينية والاقتصادية

والاجتماعية بالمدينة ، ويعد بيت الإله ومقر عبادته ^(٤٧) فضلاً عن إقامة حاكم المدينة إذ اندمج المعبد والقصر بوحدة واحدة خلال العصر السومري القديم إذ كان الاعتقاد بأن ملك المدينة يحضى بمكانة دينية لأنه ينوب عن الإله بحكم المدينة ^(٤٨) أما في مدينة نمر لو تتبعنا تخطيطها خلال العصر السومري القديم لوجدنا أن التقييمات الأثرية قد أكدت بأن المدينة كان يمر في وسطها مجرى نهر الفرات القديم ليقسمها إلى قسمين ولم تحدد لها مركز للمدينة بل كان الجانب الشرقي منها قد ضم بأغلبية العمارة الدينية المتمثلة بالمعابد للالهة العراقية القديمة لإله انليل والالهة اينانا وبذات الوقت كانت المنطقة تتخللها مناطق سكنية ولم يتم الفصل بينهم ^(٤٩) (الشكل رقم (٢)).

تأثير فكرة انفصال السلطتين السياسية والدينية وانعكاسها على هندسة وعمارة

المنطقة المركزية للمدن العراقية القديمة

بعد العرض الأنف الذكر لتطور المدن العراقية القديمة وتخطيطها الهندسي والحضري التي بدأت بتعين المنطقة المركزية وتخصيصها لمبنى المعبد لأهميته عند المجتمع العراقي القديم ليكون لزاماً لتخطيط أغلب المدن العراقية القديمة (ولاسيما المدن التي تتكون من قسم واحد وليس قسمين اي لا يشطره النهر) ثم لتأتي الإشارة إلى الظروف السياسية التي حدثت خلال العصر الاكدي بإعلان فصل السلطة الدينية عن السلطة السياسية لتصبح الفكرة الفصل أسلوب ومنهاج المجتمع آنذاك لتلاحظ انعكاس هذه الفلسفة وبشكل مباشر على هذه المنطقة المركزية للمدن ولا سيما خلال حملة الأعمار نهاية الألف الثالث ق.م التي قام بها الملك أورنمو ملك اور على المدن العراقية القديمة ، الذي قام بفصل المنطقة المركزية للمدن وتحديدتها وفق نمطين .

١- النمط لأول : قام بتحديد المنطقة المركزية من خلال جعلها منطقة متخصصة بالمباني الدينية (العمارة الدينية) بعد إضافة عدد من المعابد والزقورات الى جانب ساحات كبيرة لأداء الطقوس الدينية إلى مراكز المدن وجعلها أكثر خصوصية مثل مدينة الوركاء ونمر .

٢- النمط الثاني : تحديد المنطقة المركزية بسور (مقدس لانه ضمن المنطقة الدينية) ليضم المباني الدينية (المعابد والزقزرة والساحات) وفصلها عن باقي مباني ومنشأة المدينة ويمكن الدخول اليها عبر بوابة فتحت بالسور .

خلال حملة الأعمار وإعادة البناء التي قام الملك اورنمو في المدن العراقية يمكن تتبع المتغيرات على التي طرأت على مخططات مراكز المدن ومنها التي طرات على مركز مدينة الوركاء التي عرضناها مسبقا الواقعة عند الجهة الشرقية من المدينة لوجدنا بان قد أضيف سور حاجز ذو الطلعات والدخلات حول منطقة معبد الآلهة (انانا - Inanna) ^(٥٠) ليضم جميع ملحقات المعبد البنائية وساحاتها المخصصة للطقوس الدينية ^(٥١) (الشكل رقم (١)) لتكون منطقة مسورة داخل مدينة الوركاء ، بعدما كانت (كل منطقة من النواتين للمدينة) بالأصل عبارة عن مجموعة من المباني الدينية داخل الحارة ومنها حارة انانا ^(٥٢) ، كما أكدت أعمال التنقيب بالموقع بأن الملك اورنمو قد أضيف مبنى الزقورة المخصصة للإلهة إنانا لهذه المجموعة البنائية بعدما تم تشيدها فوق معبد إنانا وإزالة الطبقتين الأولى ومعظم الطبقة الثانية من المعبد ^(٥٣) .

بعد توسع مدينة أور وإعادة بنائها التي هم ببناء معظم أبنيتها الملك أورنمو خلال العصر السومري الحديث وكانت على غرار المدن بجنوب بلاد الرافدين ^(٥٤) لتظهر مسالة انعكاس الفصل بين السلطتين بشكل واضح على المخطط الهندسي لمركز المدينة بواسطة فصل العمارتين (العمارة الدينية عن العمارة الدنيوية) وهذا ما أكدته أعمال التحري والتنقيب بالمدينة التي كشفت عن مخطط المدينة خلال العصر السومري القديم والذي جاء مختلف وبشكل كبير عما أصبح في العصر السومري الحديث ولا يمكن إعطاء شكلاً مطلقاً لمخطط المدينة ^(٥٥) كما أكدت البعثة التنقيبية بأن مخطط هذا العصر للمدينة أصبح تحت أبنية عصر أورنمو لذلك لا بد من الأخذ بطبيعة الوصف الهندسي للمخطط الجديد للمدينة ومنها المنطقة المركزية والتي تمثل النواة المركزية لمدينة أور لتشغل مساحة بنحو (٢٢٠×٤٠٠م) الواقعة على الجزء الشمالي الغربي من المدينة ^(٥٦) وكشف بأنها كانت محاطة بجدار أو سور الذي يعد السور الثاني للمدينة وتتخلله تزيينات الطلعات والدخلات الضخمة على غرار نظام جدران المباني الدينية في العراق القديم ^(٥٧) ويسمى

هذا الجدار بالسور المقدس المسماة (Temenos) ^(٥٨)، لأنه يحيط بمنطقة المعابد المقدسة المشيدة فوق مصطبة مرتفعة مستطيلة الشكل . وتعرف ب(حي المعابد أو منطقة المعابد) ^(٥٩) أي المنطقة المقدسة (E-Gaš-šir-Gal) التي تضم جميع المباني الدينية لمدينة أور ومنها مبنى الزقورة التي شيدها الملك أور نمو ، وجميع المعابد الأخرى فضلا عن عدد من المعابد التي أضيفت للمنطقة المقدسة خلال العصور اللاحقة ^(٦٠) (الشكل رقم (٣)) . والجدير بالإشارة بأن لا بد من أن السور أصبح مقدسا لأنه يحيط بالمنطقة المقدسة ويعد من ضمن المنطقة الدينية لذلك حمل بذات النظام للمباني الدينية ومنها التزيينات الطلعات والدخلات . لذلك عزلت المباني الدينية ضمن الجدار عن باقي منشآت وأجزاء المدينة . لتأخذ المدينة وصف جديد استنادا الى مخططات الأبنية الحديثة وهندسة المنطقة المركزية للمدينة خلال العصر السومري الحديث ^(٦١) .

أما في العصر البابلي القديم فقد توضحت صورة عزلة المنطقة المركزية وتحديدها أكثر فأبنية المعابد كانت متقاربة ضمن نواة المركز وتأتي مباشرة بعد بوابة المدينة التي تنمو ضمن تخطيط بسيط للمدينة ، ولا تبعد كثيرا عن البيوت التي تتداخل بينها . إلا ان تم عزل هذه النواة عن النسيج المعماري المحيط بها وكان هذا النموذج من التخطيط الحضري من المدينة البابلية واضحا في موقع تل محمد جنوب شرق مدينة بغداد . اذ عثر المتقربون بهذا الموقع على نواة شبه مستطيلة في أحد طرفيها يقع المعبد وفي الطرف الثاني بناء كبير لمقبرة رئيسة مهمة ويحيط بالنواة زقاق وشارع يدور حوله ليعزله عن البيوت الأخرى المحيطة به ^(٦٢) .

أما في مدينة نمر فقد تم تخصيص المنطقة الشرقية من المدينة للمباني الدينية وملاحقتها ومبنى الزقورة بعدما كانت تضم مناطق سكنية خلال العصر السومري الحديث وأستمر لحد العصر الاكدي ^(٦٣) إلا أن من خلال رسم خارطة لمدينة نمر المنقوش على لوح طيني يعود تاريخه الى العصر الكشي التي كشفت عن التخطيط الحضري للمنطقة (الشكل رقم (٢)) تظهر بأن الجانب الشرقي قد تم تحديد المنطقة الدينية بسور وهذا من خلال فتحات لبوابات للمنطقة ليؤكد أسلوب الفصل بالعمارة واضح كما مبين بالشكل فضلا

عن تخصيص المنطقة الشرقية كمنطقة دينية ولاسيما بعد تغير مجرى نهر الفرات باتجاهه إلى الجانب الغربي من المدينة في حين كان المجرى القديم يفصل المدينة إلى شقين الجانب الأيمن (الغربي) والجانب الأيسر (الشرقي) الذي خصص ليكون القسم الديني للمدينة بسبب ضمه لمعظم المباني الدينية من معابد والزقورة^(٦٤) لذلك أعدت من أقدم وأقدس مناطق بالمدينة^(٦٥) . مما يشير إلى تأكيد بتحديد المنطقة الدينية في مدينة نمر من خلال تخصيص منطقة خاصة للمباني الدينية وملاحقها لفصلها عن باقي المدينة حتى بعد تغير مجرى نهر الفرات عن طريق تسيجها وإحاطتها بقنوات مائية ليستمر مجتمع نمر يحمل فرة الانفصال حتى العصر الكشي كما مبين (بالشكل (٢)) . وعلى ضوء ما تقدم نستنتج ما يؤكد انعكاس عملية الفصل بين نوعين من العمارة الدينية والديوية عن طريق فصل المنطقة الدينية عن باقي المدينة وهذا تجسيد واضح لتطبيق فصل السلطتين الدينية عن السياسية على الرغم من ان مدينة نمر قد اعتزلت الحياة السياسية والتزمت بالحياة الدينية ورغم ذلك تم تحديد المنطقة الدينية وتخصيص منطقة لها معزولة عن باقي أحياء المدينة .

استمر تحديد المنطقة المركزية (الدينية) في المدن العراقية ومن الأمثلة الواضحة منها جاء بمخطط مدينة بابل خلال العصر البابلي الحديث إذ أصبحت المنطقة المركزية مرتبطة بالبوابة الرئيسة لمدينة مباشرة عبر طريق أو شارع رئيسي للمدينة ليكون الوصول مباشر إلى المنطقة الدينية الذي أصبحت معيار لتخطيط المدن العراقية القديمة ، وهذا النمط هو استمرارية لنهج أنماط المدن خلال العصر السومري الحديث التي استحدثت طبقا للمتغيرات في هندسة مخططات المراكز الحضرية . إذ وصف العصر البابلي لحديث بأنه عصر العمارة الفخمة ، وقد أهتم الملك نبوبلاصر ومن بعده أبنة الملك نبوخذنصر بالتخطيط الهندسي لمدينة بابل ومنها نواتها التي جاء في جانب واحد هذا واضح بمدينة بابل إذ تتجمع المنطقة الدينية والمدنية على الجانب الغربي لشارع الموكب في الجزء الشرقي من المدينة وحيث تتحول إلى جهة معمارية واحدة عن ضفة النهر الشرقية^(٦٦) . من خلال التركيز على عزلة كل من المنطقة الملكية التي تجاوزت عزلتها برفعها فوق

شرفات بنائية عالية ثم بناء القصرين الجنوبي والمركزي وبوابة عشتار ، ومن جانب آخر تم عزل المنطقة الدينية (معبد مردوخ وصحن الزقورة مع شوارعها الداخلية) أي منطقة المعابد ومنها برج بابل ومعبد ايساكيللا للإله مردوخ بأسوار عالية تحيط بهم جميعا (٦٧) (الشكل رقم (٤)).

وعلى ضوء ما تقدم من العرض البسيط لمخططات مراكز بعض نماذج من المدن العراقية القديمة في جنوب بلاد الرافدين بأن طرأ تغير جوهري على مخططاتها الهندسية لنواة ومراكزها الحضرية وبشكل واضح وجاء هذا التغير بشكل طبيعي للأحداث السياسية ومواكبا للمتغيرات الفكرية التي حدثت في المجتمع العراقي القديم وذلك بعد تسلط الطبقة الدينية على مقدرات المجتمع منذ تطور الحياة ونشوء المدينة العراقية القديمة حتى بدأت بوادر ميل المجتمع العراقي القديم للفصل بين السلطتين السياسية والدينية لأجل تحديد نفوذ الطبقة الدينية المطلقة على مقدرات المجتمع المدني لتأتي من خلال التفريق ما بين الألقاب الدينية عن الألقاب الملكية (السياسية) فضلا عن تسجيل الكثير من الأحداث التاريخية لمطلق نفوذ السلطة الدينية التي حلت بسببها الكثير من الماسي والكوارث الإنسانية بالمجتمع ولاسيما مدينة لكش السومرية ليتخذ من ملوك العراق القديم ومنهم الملك أوركا جينا بعض المواد القانونية ضمن إصلاحاته لأجل تحديد السلطة الدينية (٦٨). ليعلنها من بعده الملك سرجون الأكدي عند قيام الدولة الأكديّة (٢٣٣٤ ق.م) ولاسيما بأخذ القرار السياسي للدولة لتتبع كل هذه البوادر فيما بعد على العمارة ومنها عمارة مراكز المدن القديمة لتظهر جليا في حملة الأعمار التي هم بها الملك اورنمو ملك مدينة أور نهاية الألف الثالث ق.م في المدن العراقية القديمة ل يتم إجراء تغير شامل على هذه المراكز (منطقة الدينية) لجعلها أكثر عزلة عن باقي المدينة بعدما كانت النواة الحضرية للمدينة التي تم تعيينها بالمركز لتكون منطقة المعابد متداخلة مع باقي النسيج الحضري للمدينة ، وهذا الفصل الغرض منه على الأرجح لتكون منطقة المعابد بمثابة منطقة دينية لإقامة الطبقة الدينية وابعادهم عن القرار السياسي للدولة وتكون حدود نفوذهم بالمدينة لا يتعدى حدود هذه المنطقة ضمن مركز المدينة (نواة المدينة) التي تم تحديدها بحدار يعزلها عن النسيج الحضري للمدينة ليستمر هذا النمط الهندسي

لعمارة مراكز أغلب المدن العراقية المدينة في وسط وجنوب العراق القديم خلال العصور التاريخية القديمة ومنها مدينة أور والوركاء ونقر وتل أسمر وتل محمد وصولاً إلى مدينة بابل التي جسدت ظاهرة الفصل بين السلطتين من خلال فصل عمارة المنطقة الملكية (قصور الملك) فوق شرفة بنائية مرتفعة عن المركز وهي المنطقة الدينية (منطقة المعابد) بجدار يلتف حولها إذ كان السور يحمل نفس صفات جدران المعابد بالمنطقة المركزية الذي يتصف بالصفة الدينية من حيث الدخلات والطلعات التي تتخلل الجدران على عكس السور الخارجي للمدينة الذي يدعم بأبراج دفاعية ضمن المنظومة الدفاعية المستحكمة لحماية المدينة لتصبح مدينة دينية داخل المدينة (العاصمة السياسية) ويتم ربطها مباشرة ببوابة المدينة الرئيسة للمدينة (بوابة عشتار) عن طريق الشارع الرئيسي للمدينة (شارع الموكب) ليكون نظام الفصل واضح بين السلطتين بالتخطيط الهندسي لمركز مدينة بابل على غرار هندسة مراكز المدن العراقية القديمة في جنوب العراق القديم . ومنها تم الخروج من خلال هذا دراسة البحث بأهم النتائج .

النتائج :

١- قام الملك سرجون الأكدي بفصل السلطة السياسية عن السلطة الدينية التي تم حصرها بتنصيب أخته بمنصب الكاهنة العليا بالمعبد وهي أحد أفراد الحاشية الملكية محاولاً تفويض هذه السلطة وجعلها في ظل السلطة السياسية ليستمر على هذا النهج جميع ملوك العراق القديم التي تعاقبت على حكم البلاد لينالوا سلطة سياسية مطلقة بعيدة عن نفوذ المعبد وكهنته .

٢- أدت التطورات السياسية والاجتماعية الحاصلة بالمجتمع العراقي القديم إلى تغيير فلسفي وتحول عميق في الأفكار الدينية والسياسية لدى افراد المجتمع .

٣- انعكست جميع التطورات والتحويلات المجتمعية على المخططات الهندسية لمراكز المدن القديمة لتطبيق فكرة الانفصال بين السلطتين بشكل عملي ولأجل منح الفكرة الانفصال أكثر شرعية واستقلالية من خلال التخصيص العماري المدني لكل فئة بشكل مجموعات عمارية متكاملة وبشكل متسلسل ضمن مخطط الهندسي للمدينة ومنها العمارية الدينية المتمثلة بنواة المركز للمدينة وتضم المعابد والمزارات الدينية

- والزقورة ، والعمارة الدنيوية التي تضم بالقصور وبيوت السكن المتمثلة بالنسيج الحضري للمدينة مكونة المخطط العام للتخطيط الحضري المدينة العراقية القديمة .
- ٤- اتخذ أسلوب فصل المنطقة المركزية (النواة المركزية) للمدينة وتحديدها بجدار كأسلوب عماري معالج لتلافي جوانب الاصطدام بين السلطتين الدينية والسياسية مع إعطاء كل جانب بما يليق بمكانته دون المساس به في نظر المجتمع آنذاك ضمن مخطط حضري هندسي محكم .
- ٥- أبدع في كل ما هو أصيل ومميز في التخطيط الهندسي للمدن العراقية القديمة بانفرادها بعناصر عمارية خاصة بالمدن لتصبح من أهم خصائص المخططات الحضرية المدنية في تاريخ المدن وتفرد العراق القديم بها التي تأثرت وعكست بأفكار وثقافة المجتمع العراقي القديم
- ٦- عملية تعيين المنطقة المركزية رافقت بداية إنشاء وتطور المدن العراقية القديمة بتعين مبنى المعبد بمركز المدينة
- ٧- عملية تحديد أو انفصال المنطقة المركزية كانت واضحة على أعمال الملك اورنمو التي تؤرخ إلى العصر السومري الحديث .
- ٨- بعد انعكاس فكرة الفصل بين السلطتين وبشكل مباشر على تخطيط المدن القديمة وتطبيقها بفصل العمارة الدينية عن العمارة الدنيوية القديم أوجدنا مدينة دينية متكاملة داخل المدينة الكبيرة (العاصمة السياسية) مما يشير على استحواذ وسيطرة الوضع السياسي بشؤون المدينة .
- ٩- ظهور ثلاث أنماط لمخططات المدن القديمة كان الأول منها بدون نواة مركزية للمدينة ومنها مخطط موقع تل الصوان ، والثاني جاء بتعين النواة المركزية لبناء المعبد الرئيسي للمدينة كما في المدن خلال الألف الرابع والثالث ق.م ، والنمط الثالث جاء بتحديد النواة المركزية للمدينة بسور كما تم في نهاية الألف الثالث والثاني والأول ق.م .

هوامش البحث

- ١- سامي سعيد الأحمد : الإدارة ونظام الحكم ، حضارة العراق ، ج ٢ ، ١٩٨٥ ، ص ٧-٨

إنفصال السلطة الدينية عن السلطة السياسية..... (817)

- ٢- الأمير ونور ، سعدون عبد الهادي وحسين سيد : (العبادة السياسية في العراق القديم) ، مجلة واسط للعلوم الإنسانية ، جامعة واسط ، مج ١٠ ، العدد ٢٦ ، ٢٠١٤ ، ص ١٧٠
- ٣- مهدي ، علي محمد : دور المعبد في المجتمع العراقي القديم من دور العبيد حتى نهاية دور الوركاء ، رسالة ماجستير (غير منشورة) ، جامعة بغداد - قسم الآثار ، ١٩٧٥ ، ص ١٦٦
- ٤- الأمير ونور ، سعدون عبد الهادي : (العبادة السياسية في العراق القديم) ، المصدر السابق ، ص ٧٠
- ٥- سامي سعيد الاحمد : الإدارة ونظام الحكم ، المصدر السابق ، ص ٨
- ٦- رشيد ، فوزي : الديانة (المعتقدات الدينية) ، حضارة العراق ، ج ١ ، بغداد ، ١٩٨٥ ، ص ١٨٦ - ١٨٧
- ٧- الأمير ونور : (العبادة السياسية في العراق القديم) ، المصدر السابق ، ص ١٧٠
- ٨- رشيد ، فوزي : الديانة - المعتقدات الدينية ، المصدر السابق ، ص ١٨٧ - ١٨٩
- 9- Hallo ,W,W: Early Mesopotamian Royal Titles, New Haven, 957, p. 35
- ١٠- أحمد ، هيفاء : الألقاب الملكية في العراق القديم ، رسالة ماجستير (غير منشورة) ، جامعة الموصل - قسم الآثار ، ٢٠٠٧ ، ص ٦٦
- ١١- سامي سعيد الأحمد : الإدارة ونظام الحكم ، المصدر السابق ، ص ٨
- ١٢- المصدر نفسه ، ص ٩
- ١٣- رشيد ، فوزي : الديانة ، المصدر السابق ، ص ١٧٣ - ١٧٤
- ١٤- علي ، محمد عبد اللطيف محمد : تاريخ العراق القديم - حتى نهاية الألف الثالث ق.م ، ١٩٧٧ ، جامعة الإسكندرية ، ص ٢٥٣ - ١٧٤
- ١٥- ساكر ، هاري : الحياة اليومية في العراق القديم (بلاد بابل وآشور) ، ترجمة كاظم سعد الدين ، بغداد ، ٢٠١٠ ، ص ٣٨ - ٣٩
- ١٦- الماجدي ، خزعل : إنجيل بابل ، عمان ، ١٩٩٨ ، ص ١٩٨ - ١٩٩
- ١٧- المصدر نفسه ، ص ١٩٩ - ٢٠٠
- ١٨- الدباغ ، تقي : (الثورة الزراعية والقرى الأولى) ، حضارة العراق ، ج ١ ، بغداد ، ١٩٨٥ ، ص ١١١ - ١٢٢
- ١٩- البدرابي ، عدنان مكي : (المدينة العراقية - نشأة القرى العراقية الأولى) ، حضارة العراق ، ج ٣ ، بغداد ، ١٩٨٥ ، ص ٢٩٢ - ٢٩٣

٢٠- تل الصوان : أسم موقع لمستوطن سكاني بالقرب من مدينة سامراء وجد فيها حضارة متميزة تمثل بالتطور النسبي لنظام الري ومظاهر انشاء الابنية والادوات الحجرية والنحت وصناعة الادوات ومخططات المدن الاولى (كشف عن أول اسوار محصنة بابرّاج وخندق وسلم) في تاريخ العراق القديم . أنظر: البدرائي ، عدنان مكي : المدينة الاولى – بين العصر الحجري المعدني وعصر فجر السلالات حضارة العراق ، ج ٣ ، ، بغداد ، ١٩٨٥ ، ص ٣٠٠

٢١- البدرائي ، عدنان مكي : (المدينة العراقية) ، المصدر السابق ، ص ٢٩٥ - ٢٠٦
22- Abdul- amir, S, J : Archaeological Survey of Ancient Settlements and Irrigation Systems in the Middle Euphrates Region of Mesopotamia ,Chicago :The University of Chicago ,Unpublished Ph.D Dissertation), 1988 ,pp79- 83

٢٣- القصير أحمد لفقة رهمة : (المدينة والمدنية في الحضارة العراقية القديمة (دراسة مقارنة في التكامل الحضاري للمدن العراقية القديمة)) ، مجلة القادسية للعلوم الإنسانية ، مج ١١ ، ع ٢-١ ، ٢٠٠٨ ، ص ٢

٢٤- مهدي، علي محمد : دور المعبّد في المجتمع العراقي القديم، المصدر السابق ، ص ١٦٦
٢٥- الأمير ونور: (العبادة السياسية في العراق القديم) ، المصدر السابق ، ص ١٧٠
٢٦- عوض ، السيد حنفي : علم الاجتماع الحضري ، القاهرة ، ١٩٨٧ ، ص ٢٠
٢٧- علي، عبد اللطيف احمد: محاضرات في تاريخ الشرق الأدنى القديم، بيروت ١٩٧١، ص ٩١- ٩٢

٢٨- الجادر ، وليد : (العمارة – العمارة حتى عصر فجر السلالات) ، حضارة العراق، ج ٣ ، ، بغداد ، ١٩٨٥ ، ص ٩٠- ٩٢

٢٩- مهدي، علي محمد : دور المعبّد في المجتمع العراقي القديم، المصدر السابق، ص ٦٤- ٦٥
٣٠- سعيد مؤيد : المدينة في عصر فجر السلالات حتى نهاية عصر البابلي الحديث ، موسوعة حضارة العراق ، ج ٣ ، بغداد ، ١٩٨٥ ، ص ٣٢٤ .

31- Crawford,H: Sumer and The Sumerians London , 1991, P76
٣٢- عدنان مكي البدرائي : المدينة العراقية (نشأت القرى العراقية الاولى) ، موسوعة حضارة العراق ، ج ٣ ، بغداد ، ١٩٨٥ ، ص ٣٠١

٣٣- نفس المصدر ، ص ٣٠١ - ٣٠٦

٣٤- نفس المصدر ، ص ٣٠٩

٣٥- نفس المصدر ، ص ٣١٥

- ٣٦- الدباغ ، تقى : (من القرية إلى المدينة الأولى) ، المدينة والحياة المدنية ، ج ١ ، بغداد ، ١٩٨٨ ، ص ٤٠-٤١
- ٣٧- ايفا ، شترومنغر وآخرون : (بلاد ما بين النهرين القديمة) ، ترجمة قاسم مطر التميمي ، مجلة دراسات تاريخية ، العدد ٢٤ ، بغداد ، ٢٠١٠ ، ص ٦
- ٣٨- عبد الرزاق ، ريا محسن: فجر الحضارة السومرية في ضوء أختام عصري الوركاء وجمدة نصر ، أطروحة دكتوراه (غير منشورة) جامعة بغداد - قسم الآثار ، ١٩٩٨ ، ص ٧٨ - ٧٧
- ٣٩- البدرابي ، عدنان مكي: المدينة الأولى ، المصدر السابق ، ص ٣١٥
- ٤٠- اوبنهايم ، ليو : بلاد ما بين النهرين ، ترجمة سعدي فيضي عبد الرزاق ، ط ٢ ، بغداد ، ١٩٨٦ ، ص ١٣٧
- ٤١- عبد الرزاق ، ريا : فجر الحضارة السومرية ، المصدر السابق ، ص ٦٦ - ٦٧
- ٤٢- الياسري و محمد ، حميد ياسر و صفاء جاسم : (الوركاء - حضارتها ، بيئتها ، تخطيطها) ، مجلة كلية الآداب ، العدد ٨٠ ، جامعة بغداد ، ٢٠٠٧ ، ص ١٧١
- ٤٣- علي ، محمد عبد اللطيف : تاريخ العراق القديم ، المصدر السابق ، ص ١٩٠ - ٢٠٠
- ٤٤- الياسري و محمد : الوركاء ، المصدر السابق ، ص ١٧١
- ٤٥- سعيد : العمارة من عصر فجر السلالات ، المصدر السابق ، ص ١١٤
- ٤٦- الياسري و محمد : الوركاء ، ص ١٧١
- ٤٧- كرم ، جورج : تعدد الأديان وأنظمة الحكم ، بيروت ، ١٩٧٩ ، ص ٤٧ - ٤٨
- ٤٨- الطعان ، عبد الرضا: الفكر السياسي في العراق القديم ، ج ١ ، بغداد ، ١٩٨٢ ، ص ١٥٦ - ١٥٧
- 45- Jacobsen ,Th : Sumerian Methology – A Review Articale , JNES ,chicago , vol.5, No.2 , 1946, P.130
- ٥٠- جاءت تسمية مدينة الوركاء بأسم (E-anna) نسبة إلى أسم الحارة المقدسة ضمن مدينة الوركاء بحسب تسميتها الذي ورد في جداول أثبات الملوك السومرية . انظر :- اوتس ، ديفيد وجوان : نشوء الحضارة ، ترجمة لطفي الخوري ، بغداد ، ١٩٨٨ ، ص ٢٢٩
- 51- Afahasiera , V , K : Sumerian culture in Early Antiquity ,London , 1991, P.127
- ٥٢- سعيد : العمارة من عصر فجر السلالات ، المصدر السابق ، ص ١١٤
- ٥٣- بصمه جي : فرج : الوركاء ، سومر ، مج ١١ ، ج ١ ، ١٩٥٥ ، ص ٥٣

إنفصال السلطة الدينية عن السلطة السياسية..... (820)

- ٥٤- سعيد ، مؤيد : العمارة من عصر فجر السلالات الى نهاية العصر البابلي الحديث ، حضارة العراق ، ج ٣ ، بغداد ، ١٩٨٥ ، ص ١٢٩
- ٥٥- سعيد، مؤيد : (المدن الملكية والعسكرية) ، المدينة والحياة المدنية ، ج ١ ، بغداد ، ١٩٨٨ ، ص ١٥٢
- ٥٦- حاطوم ، نور الدين ، وآخرون : موجز تاريخ الحضارة ، ج ١ ، دمشق ١٩٦٤ ، ص ٩١
- ٥٧- الجادر ، وليد : العمارة حتى عصر فجر السلالات ، المصدر السابق ، ص ٩١ - ٩٢
- 58 - Woolley , L : UR Excavations –The Royal cemetery ,vol. 2, New York , 1934,p4
- ٥٩- الصيواني ، شاه : صيانة آثار أور في لواء الناصرية ، بغداد ، ١٩٧٦ ، ص ٢١٠ .
- 60-Moorey : " Where Did they bury the kings of the 3rd dynasty of Ur " , Iraq Vol., XLVI , No. 1 ,1984 , p.1-5
- 61- Woolley : UR Excavations –The Royal cemetery ,V 2, p.13
- ٦٢- سعيد مؤيد : المدينة في عصر فجر السلالات والمصدر السابق ، ص ٣٢٦ - ٣٢٧
- ٦٣- جبسون ، ماكواير:(تنقيبات المعهد الشرقي في نمر - الموسم السابع عشر- ١٩٨٧) ، ترجمة د . عبد العزيز حميد ، سومر ، مج ٥٠ ، (١٩٩٩ - ٢٠٠٠) ، ص ٢٤
- 64- Zettler , R , L , with others : Nippur 111 Kassite Buildings in area wc – 1 , chicago , 1993, pl.7
- ٦٥- بصمه جي : نمر ، المصدر السابق ، ص ٢٨١
- ٦٦- سعيد مؤيد : المدينة في عصر فجر السلالات ، المصدر السابق ، ص ٣٢٧ - ٣٢٨
- ٦٧- سعيد مؤيد : العمارة من عصر فجر السلالات ، المصدر السابق ، ص ١٧٦
- 68- Crawford , H: Sumer and The Sumerians , London , 1991, P113 -
- ### قائمة المصادر والمراجع
- ١- أحمد ، هيفاء : الألقاب الملكية في العراق القديم ، رسالة ماجستير(غير منشورة) ، جامعة الموصل - قسم الآثار ، ٢٠٠٧
- ٢- الأحمد ، سامي سعيد: الأدارة ونظام الحكم ، حضارة العراق ، ج ٢ ، ١٩٨٥
- ٣- الأمير ونور ، سعدون عبد الهادي وحسين سيد : (العبادة السياسية في العراق القديم) ، مجلة واسط للعلوم الإنسانية ، جامعة واسط ، مج ١٠ ، العدد ٢٦ ، ٢٠١٤
- ٤- البدر اوي ، عدنان مكي : (المدينة العراقية - نشأة القرى العراقية الأولى)، حضارة العراق ، ج ٣ ، ، بغداد ، ١٩٨٥

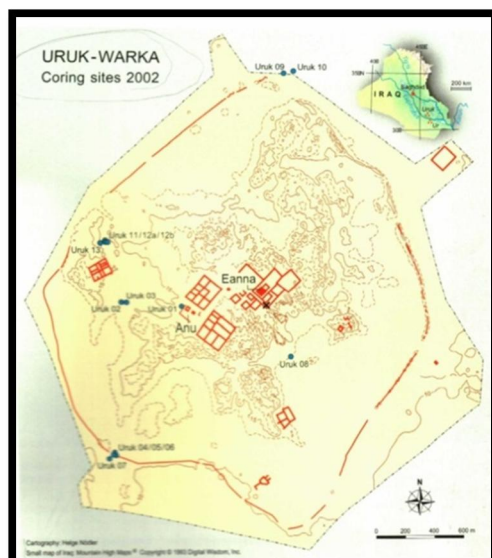
- ٥- البدر اوي ، عدنان مكي : المدينة الاولى – بين العصر الحجري المعدني وعصر فجر السلالات
حضارة العراق ، ج ٣ ، ، بغداد ، ١٩٨٥
- ٦- الجادر ، وليد : (العمارة – العمارة حتى عصر فجر السلالات) ، حضارة العراق ، ج ٣ ، ،
بغداد ، ١٩٨٥
- ٧- الدباغ ، تقي : (الثورة الزراعية والقرى الأولى) ، حضارة العراق ، ج ١ ، بغداد ، ١٩٨٥
- ٨- الدباغ ، تقي : (من القرية إلى المدينة الأولى) ، المدينة والحياة المدنية ، ج ١ و بغداد ، ١٩٨٨
- ٩- الصيواني ، شاء : صيانة آثار أور في لواء الناصرية ، بغداد ، ١٩٧٦
- ١٠- الطعان ، عبد الرضا : الفكر السياسي في العراق القديم ، ج ١ ، بغداد ، ١٩٨٢
- ١١- القصير أحمد لفته رهمة : (المدينة والمدن في الحضارة العراقية القديمة (دراسة مقارنة في
التكامل الحضاري للمدن العراقية القديمة)) ، مجلة القادسية للعلوم الإنسانية ، مج ١١ ، ع
٢-١ ، ٢٠٠٨
- ١٢- الماجدي ، خزعل : إنجيل بابل ، عمان ، ١٩٩٨
- ١٣- الياسري و محمد ، حميد ياسر و صفاء جاسم : (الوركاء – حضارتها ، بيئتها ، تخطيطها) ،
مجلة كلية الآداب ، العدد ٨٠ ، جامعة بغداد ، ٢٠٠٧
- ١٤- اوبنهايم ، ليو : بلاد ما بين النهرين ، ترجمة سعدي فيضي عبد الرزاق ، ط ٢ ، بغداد ،
١٩٨٦
- ١٥- اوتس ، ديفيد وجوان : نشوء الحضارة ، ترجمة لطفي الخوري ، بغداد
- ١٦- ايفا ، شترومنغر وآخرون : (بلاد ما بين النهرين القديمة) ، ترجمة قاسم مطر التميمي ، مجلة
دراسات تاريخية ، العدد ٢٤ ، بغداد ، ٢٠١٠
- ١٧- بصمة جي ، فرج : الوركاء ، سومر ، مج ١١ ، ج ١ ، ١٩٥٥
- ١٨- جيسن ، ماكواير : (تنقيبات المعهد الشرقي في نقر – الموسم السابع عشر- ١٩٨٧) ، ترجمة
د . عبد العزيز حميد ، سومر ، مج ٥٠ ، (١٩٩٩ – ٢٠٠٠)
- ١٩- حاطوم ، نور الدين ، وآخرون : موجز تاريخ الحضارة ، ج ١ ، دمشق ١٩٦٤

إنفصال السلطة الدينية عن السلطة السياسية..... (822)

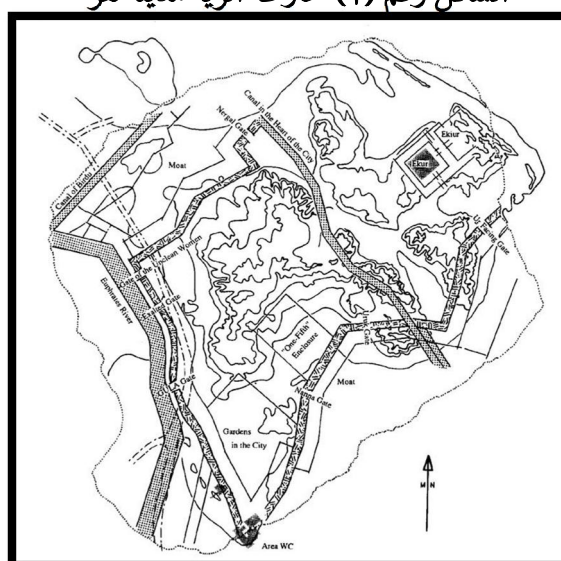
- ٢٠- عبد الرزاق، ربا محسن: فجر الحضارة السومرية في ضوء أختام عصري الوركاء وجمدة نصر، أطروحة دكتوراه (غير منشورة) جامعة بغداد - قسم الآثار ، ١٩٩٨
- ٢١- عدنان مكي البدرابي: المدينة العراقية (نشأت القرى العراقية الاولى) ، موسوعة حضارة العراق ، ج ٣ ، بغداد ، ١٩٨٥
- ٢٢- علي، عبد اللطيف احمد: محاضرات في تاريخ الشرق الأدنى القديم، بيروت ، ١٩٧١
- ٢٣- علي ، محمد عبد اللطيف محمد : تاريخ العراق القديم - حتى نهاية الألف الثالث ق.م ، ١٩٧٧ ، جامعة الإسكندرية
- ٢٤- عوض ، السيد حنفي : علم الاجتماع الحضري ، القاهرة ، ١٩٨٧
- ٢٥- ساكن ، هاري : الحياة اليومية في العراق القديم (بلاد بابل وآشور) ، ترجمة كاظم سعد الدين ، بغداد ، ٢٠١٠
- ٢٦- سعيد مؤيد : المدينة في عصر فجر السلالات حتى نهاية عصر البابلي الحديث ، موسوعة حضارة العراق ، ج ٣ ، بغداد ، ١٩٨٥
- ٢٧- سعيد، مؤيد : (المدن الملكية والعسكرية) ، المدينة والحياة المدنية ، ج ١ ، بغداد ، ١٩٨٨
- ٢٨- رشيد ، فوزي : الديانة (المعتقدات الدينية) ، حضارة العراق ، ج ١ ، بغداد ، ١٩٨٥
- ٢٩- مهدي ، علي محمد : دور المعبد في المجتمع العراقي القديم من دور العبيد حتى نهاية دور الوركاء ، رسالة ماجستير (غير منشورة) ، جامعة بغداد - قسم الآثار ، ١٩٧٥
- 30- Abdul- amir, S, J : Archaeological Survey of Ancient Settlements and Irrigation Systems in the Middle Euphrates Region of Mesopotamia ,Chicago :The University of Chicago ,Unpublished Ph.D Dissertation), 1988 ,pp79- 83
- 31- Crawford ,H: Sumer and The Sumerians , London , 1991
- 32-Hallo ,W,W:Early Mesopotamian Royal Titles,New Haven, 957,p. 35
- 33- Jacobsen ,Th : Sumerian Methology – A Review Articale , JNES ,chicago , vol.5, No.2 , 1946, P.130
- 34-Moorey : " Where Did they bury the kings of the 3rd dynasty of Ur" , Iraq Vol., XLVI , No. 1 ,1984 , p.1-5
- 35- Woolley : UR Excavations –The Royal cemetery ,V 2, p.13

الخرائط والاشكال

الشكل رقم (١) مخطط مدينة الوركاء



الشكل رقم (٢) خارطة أثرية مدينة نقر



Zettler , R , L , with others : Nippur 111 Kassite
URUK 5000 jahreMegacity

Buildings in area wc – 1 , chicago , 1993, pl.7
, Berlin , 2013

الشكل رقم (٣)

مخطط مدينة أور / لويد ، سيتون : آثار بلاد الرافدين من العصر الحجري القديم حتى
الاحتلال الفارسي



سامي سعيد الأحمد ، بغداد ، ١٩٨٠، ص ١١٥

(الشكل رقم (٤))

المنطقة المركزية لمدينة بابل

